مظاهر الخيانة فى مصر القديمة

كان الزواج عند المصرى القديم هو إتخاذ زوجة لتأسيس بيت وحياة، تشاركه الإستقرار ويكونا سنداً كلاهما لبعض، كانت المرأة فى مصر القديمة لها مركزاً محترماً ومكانة كبرى رفيعة تمتعت بها فى المجتمع المصرى، كما أعطيت لها حقوقاً كثيرة فى عصرها، وكانت العلاقات الأسرية لها أسمى المبادىء التشريعية تقوم على الإحترام الشديد للمرأة، وعرفنا من التعاليم والحكم والنصائح عن إحترام الزواج ومبادئه لإقامة مجتمع صالح، وتجنب العلاقات غير المشروعة، على الرغم من وجود الإخلاص والوفاء والثقة المتبادلة بين الزوجين إلا أن وُجدت الخيانة فى تلك العصور وكان لها أسبابها، مما يجعل للزوجة الحق فى طلب الطلاق[1] (الذى عرف إصطلاحاً بهجر الزوجة منذ الدولة الوسطى) وتحتفظ بحقوقها كاملة وذلك لوقوع الضرر عليها بأفعال الزوج، ويمكن لها الزواج مرة أخرى، كما وجدت خيانة الزوجة لزوجها وكان يحق محاكمتها وتسقط عنها جميع حقوقها، إلا فى حالة صفح الزوج عنها، لذلك كان لابد من الكفاءة بين الأزواج التى نعرفها فى عصرنا الحالى وهى أن يراعى الإختيار الطبقى المناسب بين الطرفين، وردت بعض الآراء أن المصرى القديم كان مزواجاً بطبعه ويرغب فى التعدد، إلا أنه كان غير شائعاً فى عصر الدولة القديمة. وضع المصرى القديم العقوبات (مصطلح *swn* أو *iss* وردت الكلمة بمتون الأهرام، والكلمة الشائعة *sbꜣyt* بمعنى عقوبة فى الدولة الوسطى، *idryt* فى الأسرة الثامنة عشر) التى تشدد على حماية وأمن المجتمع وأخلاقه التى استهدفت فى المقام الأول تنظيم الحياة فى الأسرة والمجتمع والدولة فاعتبر الزنى من الجرائم الدينية –التى يتبرأ منها المتوفى فى العالم الآخر أمام مجمع الآلهة–، وقد كان عقاب الزانى من الرجال والنساء هو الموت، كان الزنى من الجرائم التى تخضع لقانون الدولة، والعدالة الملكية هى المسؤلة عن إصدار العقوبات وتنفيذها، بوصفها سلطة تشريعية وتنفيذية وقضائية، ولكنها خُففت فى العصر المتأخر وكان الحُكم ببتر العضو التناسلى فقط (إخصاء، إستئصال الخصيات والعضو الذكرى) وهى من العقوبات التعبيرية التى كانت تقع على العضو الذى إرتكب الإثم *ḏd3*، وجدع الأنف للمرأة لتشويهها وتجريدها من فتنتهاوسلب أنفاسها *ṯ ḏw* ولجعلها عبرة لغيرها من النساء لأنها تتجمل لغير زوجها –إلا أن النصوص المصرية القديمة لم تشير إلى التنفيذ الفعلى لمثل هذه العقوبات–. كانت للمرأة الأهمية فى دورها كأم فى الأسرة والحياة فى أى مجتمع من المجتمعات المصرية القديمة، والمجالات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية، فكان لها تميز واضحاً وملموساً، كما تمتعت بحقوق قانونية وإقتصادية مساوية لمكانة الرجل، فكان دورها الرفيع كزوجة للملك لتكمل الإمبراطورية المصرية، كما كان يوجد نساء أخريات يكملن الإمبراطورية النسائية الكبيرة المصرية التى يتبوأ عرشها ملك مصر. فكان من أدوارها الأساسية فى الدائرة الملكية المصرية القديمة، أماً للملك التى تقف بجانبه حتى يبلغ عرش البلاد، أو زوجته التى تقف بجانبه وتدعمه وتسانده فى تأدية رسالته الملكية، كما كانت تظهر معه فى النقوش والآثار الخاصة به، وكان لها دور هام تقوم به كمستشارته غير المعلنة. ليس لدينا من الأدلة الكافية فيما يتعلق بزوجة الملك فى مصر القديمة أن يدلنا عن كيفية تمييز الملك لزوجة من زوجاته العديدات لتكون هى زوجته الملكية الرئيسية، فقد ظهر مصطلح "الزوجات

---

(١) كما كانت من الأضرار التى تقع على الزوجة غير الخيانة من الزوج عرفناها من البرديات الطبية (كاهون أقدم عمل طبى وصل إلينا نحو ١٩٠٠ق.م.) على سبيل المثال أمراض الرجل التى تتعلق بالمشكلات الجنسية بما فيها الأمراض المزمنة مثل العقم وقد رصد الأطباء حالات يكون فيها المريض غير قادر على الوفاء بواجباته. راجع: ريتاناهيل، قصة الجنس عبر التاريخ، ترجمة: إيهاب عبد الحميد، ج ١، القاهرة ٢٠٠٨، ص ٥٩؛

Bottero, all in GrimL I, pp. 181.

الملكيات الثانويات" بين الزوجات العديدات للملك، وقد عرفنا التميز بين الزوجة الملكية الرئيسية ونصيبها فى حكم البلاد وحاشيتها الخاصة وأملاكها وموظفوها، وأيضاً الزوجة الملكية الثانوية من خلال الألقاب والشارات الملكية بالإضافة إلى المغزى الدينى والسياسى لهذه الألقاب والشارات، وما هو دورها فى القصر الملكى فى دائرة الحكم، وما هى الأحداث التى أدت إلى وجود الزوجة الثانوية سواء معلنة أم متجاهلة فى ذكر الأحداث لا يعرف عنهن سوى القليل. اعتقد البعض أن من تَحمِل لقب *ḥmtnswwrt* هى الزوجة الرئيسية للملك وأن من تَحمِل لقب *ḥmtnsw* هى زوجة ثانوية، ولكن يظهر اللقبان لملكة واحدة على آثار متزامنة مثل الملكة أحمس نفرتارى، وزوجة الملك تحتمس الأول، فنجد أن كلمة *wrt* لا تعنى رئيسية ولكنها أُضيفت للقب فى عصر الدولة الحديثة.

تتعرض دراسة البحث إلى عرض بعض نماذج من العلاقات الأسرية من حب ومشاركة وتدعيم وغدر ومفهوم الخيانة العظمى وأسبابها بالسلب والإيجاب "محور الدراسة" والمؤامرات "التى دُبرت ضد الملك" وتعدد الزوجات منهن "الثانويات وأبنائهن".

من مسميات الزوج والزوجة والزواج

الزوج *nb* "نب" سيد أو ولى الأمر، وفى الوقت نفسه *sn* "سن" أخ، وذلك مما قد يعنى أن سيادته أو ولايته كانت من قبيل حقوق الأخ الأرشد. وكانت الزوجة بالنسبة لبيتها وزوجها: *st* "ست" أى سيدة، و "حمت" أى حرمة لا تحل لغير قرينها، و *stḥmt* "ست حمت"، *mryt* "مرت" حبيبة، و *ḥbst*" حب ست" أو *ḥbist* "حبي ست" أى مستورة، و *ḥmst* "حم ست" جليسة أو قعيدة كناية عن رفقتها لزوجها وقعودها معززة فى بيتها، وهى *nbtpr* "نبت بر" ربة بيت أو ست الدار كما يقال حتى الآن، و *snt* "سنت" أخت أو فى منزلة الأخت بالنسبة لزوجها. ومن مفردات كلمة الزواج: *grgpr* "جرج بر" تأسيس البيت (بمتطلباته)، أو تكوين الأسرة، و *irḥmt* "إير حمت" عمل حرمة أو اتخاذ زوجة، و *mni* "منى" الرسو أو الإقتران، و *ḫnt* "خنت" النكاح (أو عقدة النكاح) أو (المتعة المشروعة بين الإثنين)، و *ḥmsirm* "حمس إيرم" المعاشرة والسكن والخلوة، و *ḫ r pr*ʿ "عق ر بر" دخول البيت.

تعريف الزوج بالأخ والزوجة بالأخت: فى المفردات

ومن الخطأ شيوع زواج الأخ بأخته فى المجتمع المصرى القديم، وكثرت الآراء فيه لعدة أسباب، منها وصف الزوجة منذ الدولة القديمة بأنها "محبوبة" زوجها و "أخته" *mrt .f, snt .f*، ولكنها لم تكن أخته شقيقته، ووردت هذه المفردة فى أغانى الحب، فهذه الكلمة دليل على الحب بين الزوجين وصفة من صفات الزوجات المخلصات تشبيهاً بالمعبودة إيسة، كما وردت كلمة "أختى" للزوجة فى عقود الزواج بالعصر المتأخر، فى حين أنهما من أسرتين مختلفتين،[1] وروى هيرودوت أن الملك قمبيز استفتى مستشاريه عن قانونية الزواج بالأخت فأبلغوه أنه ما من قانون ينص على ذلك ولكن الملك يستطيع أن يجيزه لنفسه وأن يفعل ما يشاء، ولو كان الأمر شائعاً ما تساءل عنه. ولكن ظل تلقيب الزوج بالأخ وتلقيب الزوجة بالأخت. ومع ذلك فقد أحلت الأسر الملكية المصرية القديمة لنفسها جواز اقتران الأخ من أمرائها العظام بأخته غير الشقيقة فعلاً على سبيل الإستثناء ومن أجل تحقيق بعض أهدافها العليا للحفاظ على استقرار الملكية ووحدتها، وفى مقدمة هذه الأهداف رغبة التقريب بين أبناء الضرائر الكبار من ورثة العرش إذا كان أكبرهم من غير الملكة الرئيسية ذات الدم الملكى الخالص، وتجنب انفراد الإبنة الكبرى من هذه

(١) تحفة أحمد حندوسة، الزواج والطلاق فى مصر القديمة، وزارة الثقافة المجلس الأعلى للآثار، القاهرة ١٩٩٨، ص ٢٦.

الزوجة الرئيسية بالحكم إذا انحصرت وراثته الشرعية فيها (وذلك فيما خلا حالات نادرة)، وتفادى خصوماتها لأكبر إخوتها الذكور من أمهات أخريات، وفى أمثال هذه الظروف كان لها أو لأبيها، السماح بأن تتزوج بهذا الأخ غير الشقيق ليعتليا العرش معاً بعد أبيهما ويكون بالتالى أن تحظى بقدر مناسب من السلطة العليا إلى جانبه دون أن تنفرد بها تماماً أو تحرم منها تماماً.

ولكن على سبيل المثال: كانت هناك ظروفاً استثنائية بين الأسر الحاكمة تتيح ذلك، فلأسباب خاصة بشرعية الحكم كان الملك يتزوج بإحدى بناته كما فعل الملك رعمسيس الثانى، وربما كان للمك أمنحتب الثالث علاقة غير شرعية بإحدى بناته أيضاً. والملك أخناتون قد قام بهذا الدور أيضاً، كما يعتقد أن الملك سنفرو كان له أبناء من إبنته.(١)

تعدد الزوجات

كان مشروعاً وشائعاً لدى المصرى القديم وقد أخذ به فعلاً بعض الملوك، منذ أقدم العصور (لم تكن الزوجة الواحدة تتعارض مع التمتع بالمحظيات)، وكان معروفاً بين الأشراف والأغنياء وبين عامة الشعب أحياناً. ولكنها كانت نادرة فى الدولة القديمة، ولكنها ظهرت على سبيل المثال فى مناظر مقبر "نفر ماعت" حفيد الملك سنفرو أنه يجمع بين زوجتين الأولى "إينت" وتصحبه فى كل المناظر أما الثانية "توت" ربما تكون زوجته الثانوية ظهرت فى منظر واحد تحت قدميه، واتخذت لقب "رخت–نسوت"، كما وصل تعدد الزوجات إلى عدد ست زوجات فى وقت واحد، ربما ظهر فى الأسرة السادسة، ومن مناظر تعدد الزوجات فى الدولة الوسطى فى مقبرة "أخحتب" كان له خمس زوجات بالإضافة إلى عدد كبير من المحظيات *mytrt* ، وجميعهن ظهروا معه فى مناظر مقبرته وقد جلسن فى خشوع أمامه،(٢) وظهرت فى الدولة الحديثة الجمع ما بين زوجتين وثلاثة وأربع وكان جائز الجمع بينهم فى وقت واحد أو لم يجمع بينهن فى وقت واحد فيكون تزوج واحدة بعد الأخرى أو طلق واحدة، أو توفيت واحدة، أو كلا منهن كانت تعيش فى مسكن مستقل، وكان يعدل بين زوجاته وتتمتع بنفس المنزلة عنده، وصوروا فى مناظر نادرة بصحبة زوجهن، كما كان لثقل إلتزامات الطلاق أثر كذلك فى شيوع الإكتفاء بزوجة واحدة، وقلة إحتمالات الإنفصال بين الأزواج.(٣) وفى الأسرتين الثانية والعشرين والسادسة والعشرين (العصر المتأخر) عرف المصر القديم التعدد ولكنه لم يمارسه، ويعتبر الزوج نفسه فيها أنه تسبب فى الإضرار بزوجته إذا تزوج عليها وهو ضرر يوازى الطلاق لذلك فعليه أن يعوضها عن هذه الخسارة الفادحة.

يبدو أن معظم الزوجات كن يقابلن وفاء أزواجهن بالحب والطاعة، ولم تأب زوجة أن تعلن تعلقها بزوجها باللفظ والصورة، كأن يصورها فنان وهى تعطر صدر هذا الزوج بالطيب، أو تتخير له أطايب الزهور، أو وهى تجالسه وهو يلعب بالنرد، أو تقف خلفه بالشراب وهو يبارى فيه قريباً عزيزاً، ولم تأب أن يمثلها مثال وهى تحتضن خصر

---

(١) ليز مانيش، الحياة الجنسية فى مصر القديمة، ترجمة: رفعت السيد على، ط ١، القاهرة ٢٠٠٢، ص ٣١.

(٢) تحفة أحمد حندوسة، الزواج والطلاق فى مصر القديمة، وزارة الثقافة المجلس الأعلى للآثار، القاهرة ١٩٩٨، ص ٣١.

(٣) ذكر هيرودوت ان المصرى القديم كان يعيش فى ظل نظام الزوجة الواحدة، وذكر ديودور أن رجال الدين فقط هم الذين ساروا على نظام الزوجة الواحدة أما بقية الشعب فكان يمارس تعدد الزوجات.

زوجها بساعدها وتلمسه بالساعد الآخر، كناية عن تعلقها به واعتمادها عليه، أو وهى تجثو لدى ساقيه فى اعزاز وإكبار ومحبة، على الأقل فى أوقات الوفاق والوداد بينهما.

لم تأب قيم المجتمع أن يذكر الزوج زوجته فى نصوصه على أنها محبوبته وأنها مستقرة فى فؤاده وجليسته التى يجب أن تؤاكله من قرب ويهوى أن يحادثها، كما لم تأب أن تصور الزوجة أو تمثل فى مقبرة وهى فى أبهى زينتها وأرق ثيابها.

ولإظهار ملامح الحب والعلاقات الزوجية لم تتحرج النصوص الملكية ذاتها من وصف الملكات بآيات الأنوثة الرقيقة المستحبة، ومنها: ذات الجاذبية، بهية الطلعة، حلوة المحبة، ذات المسرة، سميرة الملك ورفيقته، المستقرة فى فؤاده، وكانت تصور الملكة أحياناً وهى تتزين لزوجها، وتلاعب زوجها الملك الدامة وترفه عنه، أو تصحبه فى عربته، أو تعطر صدره بالطيب، وتتخير له أجمل الزهور، وهما يقبلان بعض، ومناظر أخرى تتعبد معه، وهى تقدم له شراباً بينما هو يلمس ذراعها يحنو عليها شاكراً لها، وهى تهيء له الدار وتستقبله فى أبهى زينة بعد يوم مجهد من العمل، وتضيء له الدار وتصب على يديه الماء وتقدم له الطعام الذى طهته بنفسها، كانت تلك النقوش والنصوص تصور لنا مناظر الحياة اليومية المتنوعة الداخلية فى المنزل وتعبر عن صدق هذه الروابط والمشاعر المخلصة، وكان الزوج يحترم زوجته ويراعى مشاعرها فى كل أمر، ولم يكن مستبداً فى أوامره ولم يؤذ شعورها بخيانتها أو الزواج عليها، وإذا مرضت يستدعى كبير الأطباء ليعالجها ويفعل كل ما يطلب منه، كما كانت بينهم الثقة المتبادلة، وكان الزوج يخاطبها بكلمات الحب مثل زوجتى المحبوبة الرقيقة، سيدة الأناقة، حلوة الحب، ممتعة الحديث، حكيمة فى عبارتها، كل ما يأتى على شفتيها ميزان دقيق، مفعمة بالحب.

وعلى النقيض من ذلك لم تخلو العلاقات الزوجية من الشقاق والمشاجرات ولم تكن دائماً على وئام، وكان والد الزوجة ينصحها إذا أضر زوجها بها فيقول لها، *"إنك إبنتى فإذا طردك زوجك من منزل الزوجية، فإن لك أن تقيمى فى بيتى الذى بنيته بنفسى، ولن يتجرأ إن إنسان أن يخرجك منه"*.

وفى بعض الأحوال تعدد الزوجات لم يكن شائعاً فى مصر القديمة، وكلما تبين أن رجلاً ما عُرف عنه أنه كانت له بضع زوجات، لا نجد ما يثبت أنهن كن له فى وقت واحد معاً، وحيث أن الزنا كان مداناً لم نجد ما يدل على أن تعدد الزوجات كان مقبولاً بوصفه قاعدة عامة. وإذا كانت العلاقة تتم خارج إطار الزواج كان يعبر عنها بتعبير "ولوج المنزل"

أما فى الأسر الملكية فقد كان الأمر مختلفاً، فقد كان الملك يتزوج من أميرات أجنبيات لأسباب سياسية، وقد شاع ذلك بوجه خاص فى عصر أمنحتب الثالث الذى وفد على بلاطه الملكى عدد كبير من الأميرات الأجنبيات(١).

---

(١) تعدد الأزواج ورد فى إصلاحات أورو كاجينا، (إسمه الصحيح هو أورو- أنيميكينا، يرجع الفضل إليه فى إصداره لأقدم إصلاحات تم العثور عليها حتى الآن، تم الكشف عنها بمعرفة بعثة فرنسية كانت تنقب فى خرائب مدينة لجش فى عام ١٨٧٨ م، وقد دونت بالخط المسمارى وباللغة السومرية على أربعة ألواح من الطين وأول من نشرها هو فرانسوا-دانجان، وكذلك هناك ترجمة كاملة لها قام بها صمويل نوح كريمر) آخر حكام سلالة لجش (كانت أشهر دويلات المدن السومرية تقع بالقرب من شط الحى (الغراف)، وعلى بعد حوالى عشرة أميال إلى الشمال الشرقى من بلدة الشطرة)، الأولى خلال القرن الرابع والعشرين ق.م. ما يفيد السماح بزواج المرأة بأكثر من رجل فى آن واحد فى الفترة السابقة لحكمه، ونظراً لما سببه هذا الأمر من ترد العلاقات الأسرية ومشاكل لا حصر لها بين

الحب والجمال فى أغانى الغزل

عرف المصرى القديم إبان الدولة الحديثة لوناً من الأدب يتمثل فى أغانى الحب التى يتغزل فيها الحبيب بمحبوبته، غزلاً ساذجاً مرسلاً، خالياً من التكلف أو الصنعة، يتميز برقة اللفظ وموسيقيته وانسجامه، ويحرك عواطف من أضناه الحب، فيحرك منها شفاء روحه فى عينى محبوبته[١]، والمحبوبان يتناجيان وهى تقول له يا أخى وهو يناديها يا أختى.

تقول الفتاة: يا أخى إنه لجميل أن أذهب إلى البحيرة لأغتسل أمامك، وأجعلك ترى جمالى وقد ارتديت ثوبى المصنوع من أجمل الكتان الملكى عندما يبتل، إنى أغطس فى الماء معك، تعال وانظر إلىّ.

يجيب الفتى: إن قلبى جريء فى الماء، كأنما الماء أرض تحت قدمى، إن حبها هو الذى يجعلنى فى مثل هذه القوة، نعم إنها تعوذيتى السحرية فى الماء.

عندما أرى أختى آتية يبتهج قلبى وأفتح ذراعى لمعانقتها فيبتهج قلبى فى مكانه إلى الأبد عندما تأتى إلىّ سيدتى .. إذا عانقتها وفتحت لى ذراعيها أحس كأنما أصبحت مثل شخص من بلاد بونت .. من عطرها، فإذا قبلتها وفتحت شفتيها، أحس بأنى قد انتشيت دون أن أتذوق الجعة ...، (ثم يخاطب الفتى خادمة محبوبته قائلاً): إنى أقول لك، ضعى أجمل الكتان على جسدها، زينى فراشها، وأنثرى فوقه العطور، ليتنى كنت غاسل ثيابها .. ولو لمدة شهر واحد .. لأغسل العطر الذى فى ثيابها .. ليتنى كنت الخاتم الذى تضعه فى إصبعها..

من بردية هاريس الأولى ١-٦: تقول الفتاة: إذا أردت أن تلمس فخذى فإن صدرى سوف .. أتريد أن تذهب لترتدى ملابسك؟ ولكن لدىّ ثوب، أتريد أن تذهب لأنك تحس بالظمأ؟ فهناك ثديى فإن ما فيه يرويك. ماأجمل اليوم الذى أكون فيه فى أحضانك ..[٢] هنا تعترض الفتاة لأن محبوبها سيتركها ليعود بيته بعد لقائهم بالحب والغرام.

إن حبك يخترق جسدى مثل.. وقد إمتزج بالماء مثل تفاح الحب عندما .. يمتزج بها، أو مثل خمير وقد امتزجت بـ .. أسرع لترى أختك، كما لو كنت فوق جواد.

يقول الفتى: الحبيبة مثل قلب تملؤه أزهار اللوتس، وصدرها مثل تفاح الحب، إن ذراعيها مثل .. إن حاجبيها فخ لصيد الطيور، وأنا البطة التى أوقعتها الدودة فى الفخ.

تقول الفتاة: يا أخى المحبوب، إن قلبى يشتاق لحبك.

يقول الفتى: إن قلبى متفق مع قلبك .. ولن أذهب بعيداً عن جمالك.

الأزواج، خاصة بالنسبة لأطفال هذه المرأة لما يمثله هؤلاء من أهمية كبرى فى الفكر الفلسفى الدينى لسكان العراق القديم (اعتقد العراقيون القدامى أن العالم الآخر كان أرض اللاعودة، والذين يدخلونه لا يمكن أن يغادروه، باستثناء الإلهة أنانا/ عشتار، بالإضافة إلى الإله نرجال وكان فى عقيدتهم أنه منزل الظلام والتراب وأن طعام المتوفى كان التراب والطين، فيما عدا اولئك الذين لديهم أطفال عديدين)، لذا قام بتجريم زواج المرأة بأكثر من رجل، وإلا كانت عقوبتها الموت رجماً بالحجارة، راجع: عبد العزيز أمين عبد العزيز، العقوبات المشددة فى حضارة العراق القديم، مجلة حضارات الشرق الأدنى القديم، العدد الأول، ص ٢١٠.

(١) محمد فياض، سمير أديب، الجمال والتجميل فى مصر القديمة، نهضة مصر للطباعة والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٠، ص ٦٩.

(٢) محمد فياض، سمير أديب، الجمال والتجميل فى مصر القديمة، نهضة مصر للطباعة والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٠، ص ٧٠-٧٢.

تقول الفتاة: يا أجمل إنسان، إن كل ما أريد هو أن أحبك كزوجتك فى بيتك، وأن تمسك ذراعى بذراعك .. إذا لم يكن أخى الأكبر معى الليلية فسأكون كمن يرقد فى قبره، ألست أنت الصحة والحياة؟ ..

يقول الفتى: لن أبتعد عنك، وستبقى يدى فى يدك، وأمشى معك ذهاباً وجيئة فى كل مكان لطيف.

تقول الفتاة: سيجعلنى أعظم من كل العذارى ولن يجعل قلبى يحزن، إن حب أخى هو الذى يشغلنى وذلك لأن قلبى لا يهدأ بسببه ..

وتقول الفتاة وهى فى حديقتها تنسق باقة من الزهور: إن سماع صوتك يسكرنى ويطيل من حياتى .. إن رؤيتك وحدها خير لى من الأكل والشرب.

ويقول الفتى: لقد أتممت أمس أياماً سبعة منذ غابت عنى أختى، وقد ألم بى المرض، وأصبحت أعضاء جسدى ثقيلة، فإذا ما عادانى الأطباء .. فإن قلبى لا يطمئن إلى علاجهم، وليس للسحرة حيلة معى، لأن دائى لا يبين لهم .. لكن من ذكرتها وحدها هى التى تستطيع أن تعيد إلىّ الحياة .. إن اسمها هو الذى يستطيع أن يشفينى، ومجىء وذهاب رسلها هو الذى يستطيع أن ينعش قلبى .. إن أختى خير لى من كل دواء، وهى أهم لى من جميع وصفات العلاج. إن شفائى رهن بإقبالها علىّ، وعندما أراها ثوب العافية .. فإذا نظرت إلىّ بعينها استعادت أعضائى كل قوتها، وإذا ما تحدثت إلى استعادت عافيتى، وإذا ما قبلتها يبتعد عنى كل شر .. ما أجملها .. ولكن ها هى قد غابت عنى أياماً سبعة.

ومن كلمات الألم بسبب غضب الأبوين وإعتراضهم على المحبوبين وتهديد حبهم بالإنفصال فتلك الكلمات تعبر على التمسك بحبيبها وتقول: لن أتركه أبداً حتى لو ضربونى، أو حكموا علىّ بقضاء يوم فى المستنقع، أو طاردونى حتى سوريا بالهراوات، أو حتى النوبة بجريد النخيل، أو حتى الصحراء بالعصى، أو طاردونى حتى ساحل البوص، لن أحقق ما يطلبون لن أهجر حبيبى (بردية هاريس ٥٠٠).

العشق والزنا

ورغم أن الزنا كان من الأنشطة الجنسية القائمة، إلا أن المصريين أدانوه ورفضوه خاصة إذا كان مرتكبه متزوجاً، فإذا زنت إمرأة متزوجة، كان من الممكن أن تدفع حياتها ثمناً لذلك.

وذكر هيرودوت أن ممارسة الجنس كانت تعد نجاسة تتعارض مع نقاء وطهارة البدن، ويعتبر الزنى من الجرائم الدينية التى يتبرأ منها المتوفى فى العالم الآخر أمام مجمع الآلهة، ويحتوى كتاب الموتى الذى كان يحرص أغلب الأثرياء على وضعه مع المتوفى على قائمة بالأفعال التى يقسم المتوفى فى الحياة الأخرى أنه لم يقترف أى منها، فإن ضميره ووازعه الدينى والأخلاقى يجعله يقف فى حضرة المعبودات ويعلن *"لم أرتكب جريمة الزنى"، إنى لم أرتكب الزنى مع إمرأة متزوجة.*(١)

هناك أدلة كثيرة عن وجود البغاء فى الحياة اليومية والذى لم يكن له صفة دينية، النصوص المدنية تتحدث عن نساء يمكن نيلها بالمال، والأدلة المستمدة من الآثار الموجودة تشير إلى صحة ذلك، على سبيل المثال، هناك

(1) Papyrus Nu: E.A.W. Budge, The Book of the Dead, London, 1898, pp. 127, 250-251, (Hieroglyphic text) and p. 191 (translation); Breasted, Historie de L'Egypt, Tomb I, Bruxelles 1926, p. 176.

وثائق كثيرة مستمدة من مدينة العمال فى دير المدينة تتحدث عن نساء لسن زوجات ولا أمهات، إلا أنهن ينتمين إلى الجميع (وهذه تعتبر خيانة للنفس)، وهناك شذرات من نصوص تحكى عن وقائع زنا وإجهاض.

وتوضح نصوص عصر الدولة الحديثة أن أمر البغاء وممارسة الرذيلة مع نساء بعينهن لم يكن يخضع لعقوبة ما، مما يوحى أن البغاء كان مقننا شأنه فى ذلك شأن الملكيات فى العصور القديمة، على سبيل المثال فى خطاب من بردية *Anastasi* من عصر الدولة الحديثة يذكر أحد الأزواج أنه قد بلغ إخلاصه لزوجته المتوفاه أنه لم يبق فقط بدون زواج وإنكما أيضاً لم يكرر البغاء، يفهم جيداً من النص أنه يقصد هنا النساء المحظيات *n3hnmwt* "يذهب إلى المحظيات".(١)

وعن قصة المعبود ست: كان يحاول أن ينفرد بإيزة

نظر ست ورأى إيزة قادمة رأته إيزة عن بعد، تمتمت بتعويذة سحرية، وحولت نفسها إلى عذراء جميلة لم يكن من يضاهيها فى جمالها فى كل البلاد، فوقع هواها فى قلبه، فنهض، وتوجه إلى مجمع الآلهة وأكل معهم خبزاً، وذهب كى ينالها، ولم يرها أحد من الآلهة عداه. فوقفت خلف شجرة، وناداها ست قائلاً: "*أنا هنا معك أيتها العذراء الجميلة* "وقالت له: "*يا سيدى العظيم، قد كنت زوجة لراعى ماشية، وولدت له ولداً، ومات زوجى، وجاء ابنى ليرعى ماشية أبيه، ولكن جاء رجل غريب وجلس فى حظائر الماشية وقال لإبنى "سأضربك ضرباً مبرحاً واستولى على ماشيتك وأطردك" هذا ما قاله، وكل ما أتمناه أن تنتصر لى*". أجاب ست: و "*هل توهب الماشية لغريب فى حين أن الإبن حى*"، فى تلك اللحظة حولت إيزة نفسها إلى حدأة وطارت إلى قمة شجرة، ومن مكانها بأعلى الشجرة صاحت فى ست: "*إيك حالك، لقد نطق فمك ذاته بما يجب أن يكون، لقد أفصح ذكاؤك بالحكم الصحيح، ماذا تريد بعد ذلك*"؟.(٢)

هنا تعتبر الخيانة من قِبل ست لأخيه أوزير فى أن ينال من زوجته إيزة، كما توضح الخيانة أيضاً من ست بأن ينتزع شرعية وراثة عرش أوزير.

وعن قصة أخرى: دبر ست كيفية قضاء وقته هو وحور معاً، قال ست لحور، "هيا نقضى ساعة سعيدة فبيتى"، أجاب حور "نعم، بكل سرور"، وحين حل المساء كان الفراش قد أعد لهما واستلقيا عليه، وأثناء الليل انتصب قضيب ست، وأولجه بين فخذى حور، فوضع حور يده بين فخذيه، وتلقى بها سائل ست، ثم ذهب إلى أمه إيزة وقال: "تعالى وانظرى يا أمى ما فعله ست"، وفتح كفه، وأراها سائل ست، فصرخت، وأمسكت سكينها وقطعت كفه وألقتها فى النهر، ووضعت له كفاً أخرى بدلاً منها، ثم تناولت بعض الدهن العطرى ودهنت به قضيب حور وجعلته ينتصب، ووضعته فى إناء، وجعلت سائله ينزل فى الإناء، وفى الصباح، أخذت سائل حور فى حديقة ست، وقالت للبستانى: "أى نوع من العشب والخضر يأتى ست إلى هنا ليتناوله معك؟"، أجاب: "أنه لا يأكل من هنا إلا الخس"، فوضعت إيزة سائل حور على الخس، وجاء ست كما اعتاد أن يجىء كل يوم، وأكل الخس كعادته، فأصبح حاملاً دون أن يدرى من سائل حور، ثم ذهب إلى حور وقال له: "هيا، تعال لنتبارى فى الساحة" قال حور "سأفعل، حقاً سأفعل"، ثم ذهبا معاً إلى ساحة التبارى ووقفا أمام مجمع الآلهة التاسوع وقيل لهما: "تحدثا عما يحدث بينكما"،

(1) Pap.Anastasi IV, 12, 3.

(2) Papyrus Chester Beatty I: A. H. Gardiner, The Chester Beatty Papyrus No. I, London, 1931.

قال ست: "فلتهبونى منصب الحاكم، لأن حور، وهو ذاته الواقف أمامكم، قد قمت بما يقوم به الذكر فيه"، وصرخ مجمع الآلهة صرخة عظيمة، وبصقوا على وجه حور، إلا أن حور ضحك ساخراً، وأقسم وقال: "كل ما قاله ست ليس صحيحاً، فلتستدعوا سائل ست وتروا من أى مكان يجيب" فوضع تحوت إله الكلام المقدس، ومسجل كلمات المجمع الإلهى الأعظم التاسوع، يده على ذراع حور، وقال: "أخرجى يا بذور حور"، فأجابته: "من أين يمكننى أن أخرج؟"، قال تحوت: "أخرجى من أذنيه"، فقالت: "أنا من هو أنا، أنا تدفق إلهى مقدس، هل يليق أن أخرج من أذنه؟"، فقال تحوت: أخرجى من جبهته"، فخرجت على هيئة قرص ذهبى من جبين ست، وأصاب ست غضب وتملكه غيظ شديد ومد يده ليمسك القرص الذهبى، إلا ان تحوت سبقه وأخذه، ووضعه كحلية على جبينه، ثم قال: "حور فى الحق، وست فى الباطل"، وأقسم ست قسماً وقال إنه لن يأخذ سلطة الحكم محل أوزير إلا إذا أخرج نطفة حور من بدنه.(١)

ومن بردية لايدن: كتب رجل إلى زوجته التى هجرته، *"لم أسبب لك ألم وأنا سيدك، لم ترَينى أبداً أخدعك كما يفعل الفلاحون الذين يذهبون إلى بيوت أخرى*(٢) *غير بيوتهم .. أنظرى، قضيت ثلاثة أعوام وحدى بدونك دون أن أذهب إلى بيت آخر، مع وجود دوافع كافية أن أفعل ذلك، ولكن أنظرى، أمتنعت من أجل خاطرك أترين، حتى النساء اللائى فى منزلى لم أضاجع واحدة منهن".*(٣)

كان للعشيقة استثناءاً للقاعدة وعرفاً مقبولاً فى بعض الأحيان لأن كان لها نفس شرعية الزوجة، حتى ولو كانت زوجته مازالت قادرة على الإنجاب.

وثائق التشريع المصرى

حَرِصَ التشريع المصرى القديم على حماية الفرد – رجلاً كان أو إمرأة–، وعلى ضمان حقوقه فى علاقاته مع الآخرين.(٤) ويبدو لنا هذا التشريع من خلال هذه الأحكام القضائية كمجموعة من المبادىء الواسعة ذات الأمثلة المتعددة، والتى كان يتم تطبيقها بمرونة كافية تسمح بإيجاد حلول للمشاكل العادية فى الحياة الإجتماعية. وكانت من الوثائق القانونية التى تتعلق بالمسائل العائلية أو بالمعاملات بين الأفراد تدخل غالباً فى نطاق القانون الخاص، – كانت عقود الزواج التى يتم حفظها نادرة قبل العصر المتأخر –، وقد وصل إلينا عقد تم تحريره فى طيبة فى عصر الأسرة العشرين بحضور الوزير، كان يتعلق بزواج ثان وكانت المشكلة فيه تتمثل فى توزيع عادل لأموال الزوجين خلال الزيجة الأولى بين أولاد الزوجة المتوفاة وأولاد الزوجة الثانية(٥)، فى المقابل كانت حالات الطلاق والوصية تستلزم اتفاقات وتُثير منازعات على نطاق واسع، ومن أسباب المنازعات التى كانت تقع بين الزوجين، وكانت تصلح لأن تكون محل إجراءات قضائية، ومنها سوء المعاملة والخيانة الزوجية، كانت مثل هذه المنازعات تنتهى إما بحلف اليمين من المتهم أو المخطىء أو بالتفرقة بين الزوجين، وكان لكل من الزوجين الحق فى إتخاذ

---

(1) Papyrus Chester Beatty I: A. H. Gardiner, The Chester Beatty Papyrus No. I, London, 1931.

(٢) هذه الكلمة تحمل فى معناها مدلول جنسى وشهوانى.

(3) Papyrus Leiden 371: A. H. Gardiner & K. Sethe, Egyptian Letters to the Dead, London, 1928, reprinted 1975.

(4) S. Allam, "Le droitégyptienancienne" ZÄS 105, 1978, pp.1-6.

(5) J. Cerny, etT.E.Peet, "A Marriage Settlement of the twentieth dynastie", JEA 13, 1927, pp. 30-39.

الإجراءات ضد الآخر، كان الطلاق يرتبط بالإمكانيات، وكان يترتب عليه أن يحصل الزوج على ثلثى الأموال المشتركة وتحصل الزوجة على الثلث الباقى[١]، كما أظهرت النصوص أن الزوج كان له الحق فى معاقبة الزوجة عند ثبوت الخيانة والزنى عليها فإن شاء عاقب وإن شاء صفح عنها، وعلى سبيل المثال وجدت أوستراكا (دير المدينة رقم ٤٣٩ التى تضمنت إعتراضاً دفعته إمرأة بخصوص صفح زوج عن سلوك زوجته المنحرفة)[٢]، كما كانت تنفذ عقوبة الزنى على المرأة الزانية من قبل أفراد أسرتها دون اللجوء إلى السلطة القانونية بالبلاد، وتشير بردية وستكار على أن النساء الزانيات كان يتم إلقائهن فى محارق من الحطب لتنفيذ حكم الإعدام فيهن ويلقى رمادها فى النهر، وعلى أن يعاقب الزانى نفس عقاب الزانية وقد كان الموت ويلقى فى النهر لفترسه تمساح، وكان يصدر الملك أوامره بقوله للتمساح "خذ ما يخصك"، كما وردت تلك العقوبة فى الفصل ٢٥ من كتاب الموتى.

ويبدو أن عقوبة الإعدام المنفذة على الزناة قد خُففت فى عصر الأسرة الخامسة والعشرين واستبدلت بعقوبات أخرى اختلفت وتفاوتت تبعاً لوضع المرأة ووضع الرجل، فيعاقب الرجل الذى اغتصب إمرأة متزوجة كان يعاقب ببتر أعضائه التناسلية وهى من العقوبات التعبيرية التى كانت تقع على العضو مرتكب الإثم، فكانت هذه الجريمة تحمل أضراراً كبيرة وهى الإهانة والإنحلال الخلقى وإختلاط الأنساب، وعقوبة المرأة المتزوجة الراغبة فى الخيانة وممارسة الرذيلة وعلاقة آثمة كانت جدع الأنف وبهذه العقوبة يكون حرمان المرأة التى تتجمل لغير زوجها من أهم مقومات جمالها التى أثارت به الغرائز، وبتشويهها تكون حاملة الخزى والعار طيلة حياتها كما يقع عليها الطلاق وتكون عبرة لكل النساء، وكان الزانى عقوبته تتمثل فى ضربه ألف ضربة.

أما إذا أضر الزوج بزوجته فكان على الزوجة أن تلجأ إلى المحكمة، ويقسم الزوج أمام الشهود أنه لن يؤذى زوجته بالقول مرة أخرى، وإنه إذا فعل ذلك جُلد مائة جلدة وحرم من كل ما يحصل عليه معها من كسب مشترك،

جريمة الخيانة العظمى ومؤامرة الحريم:

كانت الخيانة العظمى تشمل كل ما يمس الملك بأذى سواء بالقول أو الفعل، منها على سبيل المثال ما حدث للملك أمنمحات الأول لتولية أحد أبنائه غير الشرعيين وليس سنوسرت الذى كان يعتبر وريثه الشرعى، فيبدو أن القصر انقسم إلى حزبين أحدهما موال لسنوسرت والآخر موال لإبن ثان للملك، وقد دبر هذا الحزب الثانى مؤامرة لإغتيال الملك، فذكر الملك يصف لإبنه ما حدث عندما هاجمه المتآمرون.[٣]

وعن بردية تورين القضائية أخبرتنا بالمؤامرة التى دبرت ضد الملك "رعمسيس الثالث"، الذى كان قد اختار وريثاً من أبناءه يدعى رعمسيس ليتولى العرش من بعده لذا قامت إحدى زوجاته من الطبقة المتوسطة وتسمى تى بتدبير مؤامرة كان الهدف منها الإسراع بوضع نهاية لحياة الملك، والوصول بإبنها إلى العرش، واستعانت على ذلك

---

(1) J. Cerny, "The will of Naunakhte and the related Documents", JEA 31, 1945, pp. 29-53.

(٢) منال محمود محمد محمود، الجريمة والعقاب فى مصر القديمة، وزارة الثقافة المجلس الأعلى للآثار، القاهرة ٢٠٠٣، ص ١٥٥، وهامش ٥٦ ص ٣٣٢.

(٣) منال محمود محمد محمود، الجريمة والعقاب فى مصر القديمة، وزارة الثقافة المجلس الأعلى للآثار، القاهرة ٢٠٠٣، ص ١٠٣-١٠٥؛ وعن البردية راجع: سليم حسن، مصر القديمة، الأدب المصرى القديم، ج ١٧، مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠٠٠، ص ١٩٨-٢٠١.

Pap.Millingen 1 ,11 – 2, 3.; Pap. Calesberg VI,

بمجموعة من موظفى القصر ونسائهم، ولا نعرف هل مات الملك مقتولاً إثر هذه المؤامرة، وعوقب المتآمرون بواسطة إبنه رعمسيس الرابع أم أن الملك رعمسيس الثالث عاش بعد هذه المؤامرة وأمر بتشكيل محكمة استثنائية لمحاكمة المتآمرين، وهناك رأى يقول أن ربما تدخل رمسيس الثالث شخصياً عند نهاية حكمه فى قضية المتآمرين الذين حاولوا قتله وقلب نظام حكمه، لم يتول إجراءات التحقيق بنفسه ولكنه عين لذلك لجنة مفوضة للتحقيق منح أعضائها السلطات المناسبة، -ويرى Debuck أن هذه المحكمة كانت قد شكلت بأمر من الملك رعمسيس الرابع وأن ذكر فى الوثيقة كانت فكرة ماهرة منه ليجعل هذا الأمر يصدر عن أبيه المتوفى حتى لا يبدأ عهده بهذه البداية الدموية ولتبقى يداه نظيفة بعيداً عن هذا الموضوع،- وقد أصدر الملك تعليماته إلى هيئة المحكمة التى كانت لجنة مشكلة من إثنى عشر عضواً تم اختيارهم من بين الموظفين الذين عُرف عنهم الإخلاص للمك، وإتخاذ الحيطة فى التحقيقات ومراعاة ما يكفل العدل وتحرى الدقة، كانوا من مستويات مختلفة: منهم إثنان من مديرى الخزانة وإثنان من حملة الرايات وخمسة من سقاة الخمر وأحد المنذرين الملكيين وكاتبان، وتم تكليفهم بإجراء التحقيق وأخذ الأقوال السابقة على الجلسة، ثم تم اختيار نصفهم فقط ليحضروا المحاكمة كمحكمين لإصدار الحكم على مجموعة أولى من المتهمين، وتم تكليف باقى أعضاء اللجنة بالفصل فى أمر مجموعات أخرى من المتهمين، وبصفة عامة كانت الأحكام والعقوبات محددة، وقام كثير من المتهمين بالإنتحار.[١]

وفى بردية Chester Beatty تذكر أن الملك رعمسيس الخامس كان يستدعى أسرة الزانية ليواجهوها بذنبها، وإذا ما ثبت عليها الجرم كانوا يلقون بها فى النهر ليفترسها تمساح جزاء ما ارتكبت.[٢]

كما ذكرت بردية وستكار التى دونت فى عصر الأسرة الثانية عشرة صورت خيانة زوجة كاهن كبير فى منف وقعت فى حب فتى من أهل المدينة كانت تراسله عن طريق وصيفتها فتجرأ الفتى واعتاد أن يختلى بها خلسة فى جوسق بحديقة قصرها وإذا قام عنها اغتسل فى بركة صغيرة بالحديقة نفسها فعلم بالأمر ناظر الدار فأبلغ سيده بالخبر، وعوقبت الزوجة الزانية بالحرق علناً وألقى رمادها فى النهر.[٣]

يبدو أن من أعمال التعذيب الجثمانى العنيف مثل الجروح المفتوحة وبتر الأنف والأذن والشفاة كانت من مبتكرات الدولة الحديثة، وقد تواجدت بصفة خاصة فى المراسيم الملكية وفى حلف اليمين مثل "أقسم أننى إذا قلت كذباً فليتم تشويهى وإرسالى إلى بلاد كوش"[٤]

وصلت إلينا النصوص القانونية ترجع إلى (الألف الأولى ق.م.) لازال معظمها غير منشور، ومنها ما يتعلق بالعائلة مثل الزواج والطلاق أيضاً.

تحدثنا نصوص ومناظر الآثار المصرية القديمة على أن الزواج ترابط بين الأسر وتعاطف وتساند ومودة وألفة بين أفرادها، وتشير النصائح إلى مدى حرصهم على الزواج والترغيب فيه والحض عليه والتبكير به إبتغاء الولد من

---

(1) Debuck, "The Judicial Papyrus of Turin", JEA 23, London 1937, p. 153-154.

(2) Chester Beatty II, 6, 1, 2.

(3) Pap. Westcar 4, 8-4, 10.

(4) P.BM. 10052, 3, 22, -23 بردية المتحف البريطانى

حلال لا من حرام والإكثار منهم لشد أزرهم ومعاونتهم والتفاخر بهم فى حياتهم ولإحياء ذكراهم بما يقيمونه من شعائر بعد وفاتهم.

افترض الحكماء المصريون القدامى من مقومات نجاح الأسرة، أهلية الزوج، والزواج المبكر، وحسن القدوة من رب الأسرة، ورشاد الزوجة، والتعاطف والألفة والأخوة الروحية بينهما، ووفرة النسل، وأداء الإلتزامات، ولا تزال أغلب هذه المقومات التى وردت فى تعاليم ونصائح من عهود مصرية قديمة متفرقة، هى المثلى عادة ليكون الزواج سكناً ومودة وتقارباً روحياً، وعلاقة مشروعة للتكاثر واستمرار العمران.

وهكذا أوصى الوزير الحكيم "بتاح حوتب" (عصر الأسرة الخامسة) إبنه الأكبر الذى تسمى بمثل اسمه، ويحذره بضرورة تجنب النساء وعدم الإفتتان بهن إذ أن اللذة الوقتية عاقبتها الموت، إذا أردت أن تحافظ على الصداقة فى بيت تدخله سيداً أو أخاً أو صاحباً وأى مكان تدخل فيه فاحذر القرب من النساء فإن المكان الذى هن فيه ليس بالحسن، من أجل هذا يذهب ألف رجل إلى الهلاك .. والموت يأتى فى النهاية[١]، أى ليس من صالحك أن تكون فى موضع شبهة، ويحتاج الأمر إلى بعض البراعة لتفادى ذلك، قد يضل ألف رجل عما فيه مصلحتهم، وفى لحظة عابرة مثل حلم، قد تصبح على شفى الموت بسبب سعيك إلى النساء.

وقال له وهو يهيؤه لمسؤليات الرجولة والحياة العامة، قائلاً:

"إذا أصبحت كفئاً أو (*رشيداً*) *أسس بيتك* أى (*كون أسرتك*)، *وأحب زوجتك فى حدود العرف، أو عاملها بما تستحق*"، " *أحبب زوجتك داخل بيتك، أطعمها وأكسها، إن العطور والزيوت علاج لجسدها، أسعد قلبها طوال حياتك، فهى حقل مثمر لصاحبه*"[٢].

كما قال له "*وعندما يفتتن الإنسان بأعضائهن البراقة* (حرفياً: أعضاء من الزجاج) *فإنها تصير بعد ذلك مثل* حجر "*هرست*" (أى شيئاً ليس له أهمية مثل الحلم)، *والموت يأتى فى النهاية*"[٣]، *3t ktt mitt rswt* "*بسبب متعة قصيرة تضيع كالحلم*"، (حرفياً: لحظة قصيرة مثل الحلم)، *iw ph .twmwthrrhst* يصل المرء الموت بسبب معرفتهن، *mksswnrswt pw* إحذر فالهلاك هو الحلم.

ووعظ الأديب "آنى" (دولة حديثة) إبنه "خنسو حوتب" بقوله "*تخير لك زوجة وأنت شاب، وأرشدها كيف تكون إنسانة*"، وهو يعنى بذلك تنويرها وترشيد قدرتها الفطرية لما فيه صالح أسرتها ونفع أطفالها. ثم قال "*وعساها تلد لك إيناً، فإنها إذا أنجبت لك وأنت فى طور الشباب استطعت أن تهذبه وتجعله إنساناً، وطوبى للمرء كثير الأهل حين يرتجى من اجل أبنائه*". فكان يحذره من الزنى بزوجة رجل أنها خطيئة كبرى تستحق الموت، إن المرأة التى غاب عنها زوجها وبعيدة عنه تقول لك كل يوم فى الخفاء "إنى حسناء" وليس هناك من يشهدها وهى تحاول إيقاعك فى فخها، إنها ترتكب خطيئة كبرى تستحق من أجلها الموت، بعد أن لم يحتفظ بها سراً، لأن الإنسان يسهل عليه بعد

---

(١) وفى سورة الإسراء الآية ٣٢، ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً.

(٢) تحفة أحمد حندوسة، الزواج والطلاق فى مصر القديمة، وزارة الثقافة المجلس الأعلى للآثار، القاهرة ١٩٩٨، ص ٢٢.

(٣) سليم حسن، مصر القديمة، الأدب المصرى القديم، ج ١٧، مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠٠٠، ص ١٩٣.

إرتكاب تلك الخطيئة أن يرتكب كل ذنب[١]، فقال له "احذر المرأة الغريبة المجهولة الأصل لا تنظر إليها حين تمر بك، ولا تتصل بها إتصالاً جسدياً إنها كالبحر العميق لا يعرف الإنسان ما يخفيه.[٢]

كما قال الأديب عنخ شاشنقى (فى العصر المتأخر) لإبنه فى شئون الزواج، اتخذ لك زوجة حين تبلغ العشرين، حتى يتأتى لك الخلف وأنت فى معية الشباب" وقال له "قد تقترض مالاً بفائدة لتتزوج، ولكن لا تقترض مالاً بفائدة لتتعاظم به"، كما وعظه حين اختيار قرينته قائلاً، "احذر أن تتخذ فتاة سيئة الطبع زوجة، حتى لا تورث أبناءك تربية فاسدة". وبذلك يبدو أن الحياة الأسرية فى مصر القديمة قد نعمت فى أغلب حالاتها بنصيب من الإستقرار النفسى والحياتى والوجدانى.

وعلى النقيض أن جريمة الزنا الفادح الذائع بين الناس كانت عقوبته الموت، وربما كانت هذه الجريمة لم تعد سراً وأنه قد وصلت إلى علم الزوج، وكان من حق الزوج المطعون فى شرفه وكرامته أن يصفح عن الزوجة أو ربما ينفذ فيها عقوبة الموت وفى عشيقها ثائراً لشرفه وله أن يرفع الأمر إلى المحكمة، وما يتعلق بعقوبة المرأة الزانية المتزوجة فكانت مشددة ويتبرأ منها المصرى القديم على الأرض وفى العالم الآخر.

وذكرت النصوص جريمة الزنى بالمرأة المتزوجة يجعلنا نعتقد أن الزنى بغير المتزوجة أو الراغبة فى ممارسة الرذيلة كان تورطاً نسبياً أو مجرد إنحراف إجتماعى يقابل بالحيادية الإجتماعية والقانونية على الأقل بالنسبة للرجل وهو أمر يبدو منطقياً وطبيعياً.

ومن أشهر البرديات بردية الأخوين[٣]، التى بها عرض لجميع ما يحويه البحث من محاور:

الحب والترابط الأسرى، العمل، الإخلاص، المؤامرة والخيانة والغدر، الجريمة والإدعاء، الإتهام والدفاع عن النفس، الهروب والإنتقام والعقاب وتنفيذه، ومن سياق القصة نجد أن زوجة أنبو ادعت كذباً أن أخيه الأصغر باتا حاول الإقتراب منها مما جعلته ينهض على الفور لقتله على فعلته بها، وعندما علم أن زوجته كانت هى الطرف المذنب قتلها بدلاً عن أخيه إنتقاماً لأخيه، وألقى بها إلى الكلاب لتفترس جسدها.[٤]

ونجد هنا عقوبة الخيانة والزنى التى وقعت على زوجة أنبو يعد من أبشع صور الإنتقام فى إطار عقوبة فى نظر المصرى القديم، إذ أن ضياع الجثة كان يعنى حرمان المتوفى من الدفن ومن إقامة الشعائر الجنائزية وهو ما يعنى أيضاً حرمانه من الحياة الأخرى وقضاء بالفناء الأبدى يفرق منه كل مصرى ويخشاه على الجسد والروح معاً.[٥]

---

(1) Pap. Boulaq 3, 14-17.

(٢) تحفة أحمد حندوسة، الزواج والطلاق فى مصر القديمة، وزارة الثقافة المجلس الأعلى للآثار، القاهرة ١٩٩٨، ص ٢١.

(٣) وعن البردية راجع: سليم حسن، مصر القديمة، الأدب المصرى القديم، ج ١٧، مكتبة الأسرة، القاهرة ٢٠٠٠، ص ٨٧.

(4) Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, Berkely and Los Angeles 1973, p. 207.

(٥) أحمد عبد الحميد يوسف، مصر فى القرآن والسنة، ص ٣٥؛ منال محمود محمد محمود، الجريمة والعقاب فى مصر القديمة، ص ١٥٢.

السحر

النصوص السحرية كانت على النقيض من أشعار الحب والغزل، فكانت تستخدم تلك النصوص للتفرقة بين المحبوب ومحبوبته فى بعض الأحيان وأحياناً أخرى للمداواة لتقوية القدرة الجنسية، ألقت القصص المصرية القديمة الضوء على جوانب كثيرة من الحياة الجنسية فى مصر القديمة، كما أظهرت القصص ونصوص الحكمة وقصائد الشعر أن أفراداً كثيرين لم يكونوا سعداء فيما يتعلق بالجوانب العاطفية والجنسية من حياتهم، أحياناً كانوا يحاولون إصلاح تلك الأحوال، أما إذا كان الأمر يتعلق بخصم، فكانوا يسعون إلى إضعاف قدرته الجنسية، وإن كان لأنفسهم فلتقوية قدراتهم، كانت الأشكال والصور تنطوى على قوة سحرية تؤدى مفعولها فى الحياة الدنيا ويمتد أثرها إلى الحياة الأخرى، على سبيل المثال فى الحياة الدنيا كان المصرى القديم إذا عانى من مشكلة تختص بالجنس فقد كان هناك دائماً حلاً لها عن طريق السحر والوصفات، فى الدولة القديمة كانت إستعادة القدرة الجنسية فى الحياة الأخرى تتم بتلاوة التعويذات السحرية من نصوص الأهرام، كان المتوفى يتلوها فى رحلته للعالم الأخر، عندما كان الملك يتوحد مع المعبودة إيسة بعد موته، *أختك ايسة قادمة إليك، مبتهجة برغبتك، ضعها فوق قضيبك، سائلك الذى يدخلها فى نجم الشعرى اليمانية* "وتصف (بردية رام) الخامسة من الدولة الوسطى: *"الدهان التالى لمن فقد القدرة على إنتصاب عضوه: أوراق النبات الشوكى ورقة واحدة، أوراق السنط ورقة واحدة، عسل مقدار، إطحن الأوراق فى العسل، وادهن بها قضيبك"*، وكان يصحب المداواة الطبية تعاويذ سحرية، أما فى الحياة الأخرى كانت توضع مع الميت أشكال لنساء على هيئة تماثيل حتى يبعثن معه فى الآخرة ويثرن فيه الرغبة الكامنة وحتى يضمن وجود نساء معه بعد بعثه فى الحياة الأخرى.[١]

(١) ليز مانيش، الحياة الجنسية فى مصر القديمة، ترجمة: رفعت السيد على، ط ١، القاهرة ٢٠٠٢، ص ١١٥.

الخاتمة

نتج عن هذا البحث أن للحضارة المصرية القديمة استرعت إنتباه الفكر الإنسانى، ويمكن فى البداية أن يتبادر إلى الأذهان أنه لا داعى لتناول هذا البحث لكنه ألقى الضوء على بعض الملامح التى ندرت أن تتناولها أقلام بعض الباحثين ألا وهى ملامح الخيانة والزنى، فقد تناول هذا البحث هذا الجانب إلى بعض الجوانب الأخرى منها الحب والغرام والعلاقات الأسرية والحياة الخاصة والنواجى الجمالية بها ولكن ما من علاقة حب وإخلاص إلا ما نشأ بها بعض الخلافات التى قد تتلاشى بالصلح والصفح، وإما أن تتراكم الأحداث وتؤدى فى النهاية إلى الشروع فى الخيانة التى تصحب صاحبها إلى نهايته بالهلاك، أو الطلاق، وموضوع هذا البحث من الصعب أن يتناوله بحث واحد لأنه يمتاز بالتشعب فى شتى مناحى الحياة للمصرى القديم، وإذا كنت تناولته فى عجالة فهذا الموضوع لا توجد حضارة فى هذا العالم لم تشهد هذا المثال على الإطلاق وحتى يومنا هذا، لقد كسوت بحثى بكلمات رقيقة من الغزل والحب وصدق المشاعر التى ربما غاصت فى أعماق قلوب من تشادى بها ولعلها تبرز المعانى الدفينة خلف كلمات القلوب، فأنا أترك للبحث أن يخرج من إستعراضه النتائج التى يمكن كل إنسان أن يخرج بها والتى ينبغى أن تخرج منه بكل إفتتان لملامح لوحة الحب الجميلة قبل الغدر والخيانة.

منار مصطفى محمد إسماعيل